

تعريف بدفاتر العيُنِيَّات في الأرشيف العثماني^(١)

يحتوي تصنيف غرفة الباب العالي بالأرشيف العثماني كمية كبيرة من هذا النوع من الدفاتر، التي تعني عَيْن ما كان يكتب من الباب العالي إلى أمراء المناطق الإدارية وقُضائهم في مختلف مناطق الدولة العثمانية، وكذلك إلى مختلف الوزارات والدوائر الحكومية في إسطنبول، خلال الفترة التي تمتد من ١٢٢٧هـ حتى عام ١٣١٣هـ (١٨١٢-١٨٩٥م). وتلك حقبة مهمة في تاريخ الدولة العثمانية؛ لأنها شهدت العديد من التغييرات في تنظيمات الدولة وإدارتها، وفي أوضاعها الثقافية والتعليمية، وفي شؤونها السياسية والاقتصادية، وفي مناحي حياتها الاجتماعية.

وعدد تلك الدفاتر في الأرشيف العثماني ١٧١٧ دفترًا، موزعة على ولايات الدولة العثمانية كافة. والذي يهمنا هنا ما يتعلق بولايات الجزيرة العربية الثلاث، وهي: ولاية الحجاز، وولاية البصرة، وولاية اليمن^(٢). ويبين الجدول الآتي^(٣) عدد الدفاتر الخاصة بكل ولاية من ولايات الجزيرة مع السنوات التي تغطيها الدفاتر:

(١) مصادر تاريخ الجزيرة العربية في تركيا/سهيل صابان. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣هـ، ص ٤١-٤٥.

(٢) لم يدرج هنا بعض المناطق من شمال الجزيرة العربية التي كانت تابعة لولاية سوريا. فذلك يحتاج إلى مسح دفاتر العيُنِيَّات الخاصة بولاية سوريا.

(٣) تم إعداد هذه القائمة من خلال Basbakanlık Osmanlı Arşivi Rehberi.2.Baskı. İstanbul:2000.p.185-

الرقم التسلسلي	أرقام دفاتر العينيات	الولاية التي تخصها	السنوات التي تغطيها	عدد مجلداتها
١	٨٥٢-٨٤٨	بغداد، البصرة	١٢٨٣-١٢٩٦هـ ١٨٧٩-١٨٦٦م	٥
٢	٨٧٧-٨٧١	الحجاز، إمارة مكة المكرمة، اليمن	١٢٨٣-١٢٩٦هـ ١٨٧٩-١٨٦٦م	٧
٣	١٥٢٥-١٥١٦	ولايات الجزيرة العربية ^(١)	١٢٩٦-١٣١٠هـ ١٨٧٨-١٨٩٢م	١٠
٤	١٦٢١-١٦١٩	[ولايات] الجزيرة العربية	١٣٠٢-١٣٢٠هـ ١٨٩٢-١٩٠٣م	٣
مجموع عدد الدفاتر الخاصة بولايات الجزيرة العربية				٢٥

ولا يعني هذا الجدول أن شؤون الجزيرة العربية الواردة في دفاتر العينيات الخاصة بولايات الجزيرة العربية، محصورة فيها، ولا توجد في غيرها من دفاتر العينيات. بل هناك دفاتر العينيات التي تناولت عَيَنَ مراسلات قلم المكتوبي بالصدارة العظمى إلى مختلف وزارات الدولة العثمانية وإداراتها في الحكومة المركزية، وفيها معلومات قيمة عن شؤون الجزيرة العربية. من ذلك على سبيل المثال: دفاتر الصحة، والمحجر الصحي، وشورى الدولة، والرسومات والأوقاف، والخارجية، والداخلية... إلخ، التي حوت معلومات عن الجزيرة العربية. ولا مندوحة للباحث من الاطلاع عليها، لتغطية موضوعات بحثه إذا كان فيها ما يخصه، إضافة إلى الاطلاع على دفاتر العينيات الخاصة بتلك الولايات الثلاث.

أهمية دفاتر العينيات

لدفاتر العينيات أهمية بارزة في كونها تسمح بالاطلاع على المراسلات التي جرت بين الحكومة المركزية في إستانبول ممثلة بالباب العالي، وبين مختلف الولايات العثمانية. ومن خلالها

(١). بموجب تسميتها في فهرس الأرشيف العثماني .

يتعرف الباحث على أنواع المراسلات والأوامر الصادرة من الباب العالي إلى مختلف الجهات، وكذلك الموضوعات التي تناولتها. وكما سيتبين من الموضوعات المدرجة في هذا الدفتر، فإن الموضوع في الأساس يصدر من الولاية المعنية، تستأذن الباب العالي في عرضها للموضوع، بغية الحصول على استصدار الموافقة عليه. وقد يكون الموضوع صادراً من إستانبول نفسها، تبدي رأي الولاية المعنية. وهذه الموضوعات قد تكون دينية أو صحية أو عسكرية أو إدارية... إلخ. وقد تبدو أبعاد الموضوع المعروض واضحة في المدونات التاريخية، إلا أن جانباً أو أكثر قد يكون غائباً عن الأنظار. ومن هنا تأتي أهمية هذه السجلات في كشف النقاب عن ذلك الجانب، وعن الملاحظات المحتملة للموضوع المعروض، مع توضيح صورة الباب العالي في النظرة إليه. لكن يبقى أمر الاستفادة من المصادر الأخرى، أو الوثائق الموجودة في التصنيفات الأخرى من الأرشيف العثماني، ضرورياً. أو بمعنى آخر؛ فإن ما ورد من معلومات في دفاتر العينيات يُعدُّ مكملاً للموضوع. إذاً لابد من الإلمام بأبعاد الموضوع - إذا أريد شمولية فهمه - حتى يتضح ما ورد في هذه الدفاتر.

الفوائد العلمية لنشر دفاتر العينيات

- ١ - التعرف على أسلوب البيروقراطية العثمانية، والأسلوب المتبع في المراسلات الإدارية، ولا سيما من الحكومة المركزية المتمثلة في إستانبول إلى الولايات الأخرى. وبشكل خاص مع ولاية الحجاز، وملاحظتها الإدارية.
- ٢ - التعرف على الموضوعات التي جرى بشأنها الاتصال مع الولاية المعنية. وهذه الموضوعات متنوعة، دينية وهي الأغلب فيما يخص ولاية الحجاز، وثقافية، وسياسية واجتماعية، إضافة إلى كثير من الموضوعات الإدارية من حيث التعيينات، وإرسال المخصصات المالية... إلخ.
- ٣ - رصد أسماء الإداريين العثمانيين في المناطق التابعة للدولة العثمانية بالجزيرة العربية، وفترة إدارتهم. ولا سيما في ولايتي الحجاز واليمن وسنح سواكن الحبشي. وهذا في الحقيقة من أهم الأمور التي احتوتها دفاتر العينيات. حيث نطلع من خلالها على بعض التعيينات

الإدارية، التي لا نجد معلومات عن أصحابها في تصنيفات الأرشيف الأخرى، مما يضفي أهمية كبرى على دفاتر العينيات. وقد احتوت تلك المراسلات في هذا الدفتر الموجود بين أيدينا على كثير من الأمور الإدارية في الحجاز، سواء من حيث ارتباطها الإداري، أو وظائفها، أو تسميتها. حيث احتوت على معلومات إدارية في غاية الأهمية. منها على سبيل التمثيل: أن ولاية الحجاز تحولت إلى متصرفية جدة، ثم أعيدت إلى وضعها السابق، وأن اليمن تحولت إلى ولاية بعد أن كانت متصرفية، وأن مشيخة الحرم النبوي الشريف انفصلت عن الأمور الإدارية، فأصبح هناك مدير للمدينة المنورة، مستقلاً عن شيخ الحرم النبوي الشريف.

٤ - تتبع سياسة الدولة العثمانية في المنطقة، وتعاملها مع مختلف الشخصيات والأمرء فيها. وهذه السياسة تراكم لسياسات مئات السنين من حكم الدولة العثمانية في القارات الثلاث.

٥ - متابعة المخصصات المالية المرسلة لوقف من الأوقاف في كل سنة في وقتها المحدد، والتقيد بإرسال المبلغ المخصص في كل سنة. وبخاصة أن هذا الدفتر ضمّ مراسلات عدة سنوات، الأمر الذي يتيح القيام بمقارنة من هذا القبيل. كما هو الأمر في وقف آل كوتاهيا بالمدينة المنورة، وكذلك الشهادات الخاصة بأهالي الحرمين الشريفين لتقدم المخصصات المالية لكل واحد من أصحابها مع أمانة الصرة الهمايونية في كل سنة.

٦ - التمكن من متابعة أحداث معينة. مثل قافلة الحج التي كانت تتحرك من إستانبول بالسفينة إلى بيروت، ومنها إلى الشام، ومنها إلى الحجاز. فحيثما حلت القافلة يقوم رئيسها بإرسال خطاب أو برقية إلى الباب العالي في إستانبول، يبلغه فيها بوصولهم إلى المنطقة الفلانية. فإضافة إلى سرور الباب العالي واطمئنانه على وصول الحجاج إلى تلك المنطقة بأمن وسلام؛ - لأن أمر وصول القافلة إلى الديار المقدسة مهم للغاية - فإن أي عرقلة في الطريق غير متوقعة، كفيلة بالتدخل المباشر من الباب العالي في أمرها؛ بغية تيسير مواصلة القافلة لرحلتها المباركة. مع أن الباب العالي يتخذ قبل ذلك كافة التدابير التي من شأنها تحقيق الأمن وتوفيره، وما يحتاج إليه الحجاج من غذاء وماء وغير ذلك في الطريق..

بعض الملحوظات المنهجية

١ - لابد من الإشارة هنا إلى أن الباحث قد تقيّد بإيراد لفظ السيد أو السيدة التي يقصد بها أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما هو. أما السيدة التي يقصد بها المرأة فقد أدرج الباحث اللفظ العثماني المقابل له وهو "خاتون" أو "خانم"؛ حتى لا يختلط الأمر على القراء..

٢ - فيما يتعلق بتخصيص حنطة الجراية إلى المجاورين، فقد تقيّد الباحث بالصيغ الواردة فيها. وهي صيغ مختلفة، وإن كانت تؤدي المعنى نفسه وهو تخصيص الحنطة إلى الشخص المعني إذا وقع فيها شاغر.

٣ - تبين من الصفحات الأخيرة من هذا الدفتر عدم انتظام المراسلات، فقد تذكر مراسلة متأخرة قبل مراسلة متقدمة (انظر ص ٢٦٦، ٣٠٦، ٣٦٣، ٤١٣).

٤ - سوف تذكر أرقام الصفحات الأصلية للدفتر الموجود بين يدي البحث بالبنط الغامق؛ لمن يريد إجراء مقارنة بين هذه الترجمة والأصل المترجم منه، وذلك تسهيلاً له على القيام بتلك المقارنة.

٥ - الاعتماد الأساس في هذا الدفتر على التاريخ الهجري، ثم الرومي. وقد تقيّد الباحث بإيرادهما حيثما ورد في الدفتر. وإذا وقع فيهما خطأ فسوف يشار إليه، كما تكمل المعلومات الأخرى. وهي الاكتفاء بذكر الأرقام الثلاثة من التاريخ أو الرقمين الآخرين، وذلك ضمن معقوفتين []، وإيراد التاريخ الميلادي في كل تلك المراسلات إلى جانب التاريخ الهجري؛ تسهيلاً للباحثين.

٦ - أسماء الأعلام الواردة في معظم صفحات هذا الدفتر، أحادية، بعض قليل منها ثنائية. ولذلك فلا يعلم من تراجمهم سوى من هم معروفون في المنطقة. أما غيرهم وهم كثير، فيصعب العثور على تراجم لهم؛ بسبب شح في المعلومات الواردة في الدفتر الموجود بين يدي البحث. وقد حاول الباحث جهده في الحصول على معلومات عن سيرهم من خلال فهراس الأرشيف العثماني، فحصل على معلومات عن بعضهم، وانتفى ذلك عن معظمهم.